

## عصر الحجر

بقايا الحصاء - أقدم الأطلال التي عثر عليها كانت مدفونة في الحصاء. وقد ظفر أحد علماء فرنسا المسير بوشه دي برت (منذ سنة ١٨٤١ إلى سنة ١٨٥٣) في وادي لاسوم بأدوات قاطعة من الصوان وكانت مطبورة على عمق ستة أمتار فالحصاء على ثلاث طبقات من أرض خرف وحصاء وكس صناعية لم تحركها يد. كما عثروا في نفس تلك الأماكن على عظام بقر وأيائل وفينة. وظل الناس يهزؤون زمنياً بهذه الاكتشافات فكانوا يقولون أن هذا الصوان قد نجت صدفة بلا تعمل حتى إذا كانت سنة ١٨٦٠ جاء عدة علماء بالقصد إلى وادي لاسوم واعترفوا أن هذا الصوان قد نحه يد بشر بلا مرأى. ومنذ ذلك العهد عثروا على زهاء خمسة آلاف قطعة تشبه تلك في طبقات من هذا الجنس نفسه وذلك في وادي السين وفي إنكلترا وكن بجانب بعض تلك الآثار بقايا عظام بشرية. ولا يختلف اثنان اليوم في أنه كان بشر في العالم في الزمن الذي تألفت فيه على تربتنا طبقات الحصاء. فإذا كانت الطبقات التي تغشى هذه الأطلال فقد تألفت بالبطء الذي تتألف به لعهدنا هذا فإن البشر الذي وجدت عظامهم وأدواتهم قد عاشوا قبل زهاء مئتي ألف سنة.

رجال الغيران - ولطالما عثر الباحثون على أطلال في الغيران محفورة في الصخر تكون أحياناً قائمة فوق نهر وأشهرها مغارات شواطئ الفزير (أحد أنهار فرنسا) ويكثر أمثالها في كثير من الأماكن اتخذت قديماً مساكن للناس وأحياناً قبوراً لهم. فتجد فيها هياكل عظامهم وأسنحتهم وأدواتهم وهي عبارة عن قووس وسكاكين وأزاميل أسنة رماح من الصوان وسهام وشفار كلاليب وإبر من العظام مثل ما كان يستعملها بعض المتوحشين وقد نثرت على التربة عظام الحيوانات فكان أولئك الناس القذرون كساتر المتوحشين

يلقون بها في زاوية بعد أن يأكلوا الحيوانات وقد يشقون عظامه ليستخرجوا منه النخاع  
عنى ما يفعل اليوم المتوحشون. ولست ترى بين تنك الوحوش الأرنب والأيل والبقر  
والحصان وحوت سليمان بل تجد بينها أيضاً الكركدن ودب الكهوف والماموت  
والوعل وبقر السهل وجميع ضروب الوحوش المنقرض نسلها من فرنسا منذ زمن  
طويل. ولقد عثر أيضاً على بعض المنقوشة على عظام الوعل أو على أسنان الماموت  
تمثل إحداها قتال وعول والثانية حيوان الماموت أي فيلاً هاتلاً إذ جند له وبر كالصوف  
وأنياب معقفة.

لا جرم في أن هؤلاء الناس كانوا معاصرين لذلك الفيل والوعل فكانوا كجنس  
الأسكيو (سكان القطب في أميركا) في عهدنا هذا قوم دأبهم الصيد والقنص يحسون  
صنع الصوان وإيقاد النيران.

المساكن - انخفضت المياه في بحيرة زوريخ (سويسرا) سنة ١٨٥٤ عقب ما حدث من  
الجفاف في صيف تنك السنة فاكشف سكان الشواطئ أوتاداً غرزت لبناء وهي بالية  
جداً وماعوناً غليظاً غير محكم وكانت هذه بقايا قرية قديمة بنت على الماء. ثم عثر على  
زهء مائتي قرية تشبهها في بحيرات سويسرا ويدعوها القرى أو المدن المنيية على أوتاد  
في شواطئ البحيرات. أما الأوتاد التي قامت عليها تنك المساكن فقد جعلت من  
جدوع الأشجار غرزت من أطرافها في البحيرة على عمق عدة أمتار واقضى لإنشاء  
كل قرية من ثلاثين إلى أربعين ألف جزء تحمل سطحاً من الخشب أقيمت عليه بيوت  
من خشب مغطى بالطين. ويستدل لما عثر عليه من مئات من الأمتعة في وسط تنك  
الأوتاد على العيشة التي كان السكان يعيشونها فقد كانوا يأكلون من الحيوانات التي  
يصيونها الأيل والوعل والخنزير البري على حين كانوا يعرفون من قبل الحيوانات

الأهنية كالبقر والعمز والحمل والكنب ويحسون زرع الأرض وحصاد الغنّة وطح الحب لأنه وجد في أطلال قراهم حب الخنثلة بل الخبز (وبعبارة أخرى معجات بدون خمير) وكانوا ينسجون الأقمشة الغنيظة من القنب ويحيطون الثياب وقد عثر على إبر من عظام وكانوا يعملون الفخار على صورة ليس فيها شيء من المهارة وترى أنيتهم لا أثر لندقة فيها بل هي معنولة باليد مزدانة ببعض خطوط فقط وكانوا يسعون السهام والسكاكين من حجر الصوان مثل سكان الغيران ولكنهم يعملون قوسهم من حجر صلب للغاية تعنوا صقده. ولذلك دعى عصرهم بعصر الحجر الصقيل وهؤلاء السكان أحرق عهداً من سكان الغيران لأنهم لم يعرفوا فيل الماموت ولا الكركدن وإن كانوا عرفوا الوعل والأيل في أرض فرنسا.

المصانع أو البنية - تصنى البنية المصنوعة من ضخم الشقيف من الأحجار غير المصقولة البنية الميكاليتية أي الأحجار الضخمة ويكون الحجر فيها تارة على حاله وأخرى مغشى بالطين. والمصانع التي يبنى فيها الصخر مكشوفاً هي على أنواع فنتها الدولمانتوهر منضدة من الحجر مؤلفة من حجر مطيل مركز على عدة أحجار مغروزة في الأرض والكروماش وهي دائرة من الحجر يتألف من صخور كبيرة مصفوفة على صورة إطار ومنها المانهير وهي حجر طويل مؤلف من شقيفة جعلت على طرفها وكثيراً ما تكون عدة من المانهير مصفوفة صفّاً واحداً. ولا تزال في الكرنك من إقليم برتانيا أربعة آلاف من هذا البناء قائمة على أحد عشر صفّاً. ويذهبون إلى أنه كان قديماً عشرة آلاف واحد من نوعها جعلت على صف واحد في ذلك المكان. وإنك لتشاهد البنية الميكاليتية في فرنسا بالمتات في ولايات الغرب ولاسيما في إقليم برتانيا وتجد في إنكلترا منها على معظم الآكام ومنها زهاء ألفي بناية فقط في جزائر أور كاد.

وتسمى المصانع المدفونة التومولوس وهي تشبه أكمة عن بعد وإذا فتحت يجد المرء في داخلها غرفة من الحجر وكثيراً ما تكون مبنية بألواح من الصخر. وترى منها في بلاد الدانيرك وألمانيا الشمالية مصانع مثورة ويسمى أهالي تلك البلاد تلك المصانع المدفونة قبور الجبارين.

والمصانع الميكالية كثيرة خارج أوروبا وفي الهند وغنى شاطئ أفريقية. ولا نعني أي الشعوب استطاعت إخراج مثل هذا الشقيف ونقنه ولقد جاء زمن طويل كانوا يظنون فيه أن قدماء الغالين والسنين هم الذين عنوا باستخراجها ونقلها ومن هنا جاء اسم المصانع السنية ولكن ذلك مردود إلى أن ثبت وجود مثل هذه المصانع في أفريقية والهند.

وإذا فتحت بعض هذه المصانع المدفونة غير المسوسة تجد فيها كل حين هياكل عظام وكثيراً ما يكون عدة هياكل وهي إما جالسة أو مضطجعة فهذه المصانع عبارة عن قبور فتجد بالقرب من الميت أسنحة وآنية ونقوشاً. وفي أقدم هذه القبور ترى الأسنحة عبارة عن فروس من الحجر الصقيل والنقوش هي أهداف ولألى وعقود من عظم أو من عاج والآنية بسيطة للغاية بدون عروة ولا عتق بل هي مزدانة فقط بخطوط أو بنقط وترى فيها عظام حيوانات منقاة غنى الأرض مكنسة وهي بقايا طعام قدم في جنازة اتنيت قدمه احبابه إلى قبره. وليس بين هذه العظام أثر ولعظم الوعل وهذا ما يستدل منه غنى أن هذه المصانع بنيت عنلما اندثر جنس الوعل ومن أقطارنا إلى بعد زمن القرى المنية في البحيرات.